أخبـار الزهـــاد

العثور على أثر مفقود لمؤرخ العراق ابن الساعي

٥٩٣ ـ ٦٧٤هـ

كتبه

بشار عواد معروف

كلية الآداب ـ جامعة بغداد



لا تزال خزائن الكتب ودورها في الخافقين تحوي كنوزاً من المخطوطات العربية تنتظر من يكشف عنها النقاب ويزيل ما علق عليها من آثار الزمن ، ويخرجها ويُجلّي نصوصها ، لتظهر للباحثين والدارسين من ذوي الارب والمعرفة فتعم فائدتها وترتجى عائدتها .

وقد عثرنا عند رحلتنا الى البلاد المصرية في الدفعة الاولى في مطلع السنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م على نسخة خطية من كتاب في التراجم بدار الكتب المصرية يحمل الرقم (٧٥ تاريخ) مجهول العنوان والمؤلف لذهاب ورقات من اول الكتاب . وقد وصف مفهرسو الدار المذكورة هذه النسخة وذكروا ان الكتاب في التراجم وان مؤلفه من اهل القرن السابع من غير محاولة لكشف اسمه اواسم مؤلفه. وعلى الرغم من تردد جملة كبيرة وثلة خطيرة من الباحثين والمعنيين بالتاريخ على هذه الدار الشهيرة فان احداً منهم لم يحاول الافادة من هذه النسخة او التطرق الى اهميتها او محاولة معرفة مؤلفها مع ان الكتاب من امهات الكتب التاريخية الاسلامية عموماً والعراقية خصوصاً .

تتكون النسخة الخطية من ١٢٢ ورقة ويعود تاريخ نسخها الى يوم السبت الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ١٠١٩ هـ وناسخها هو « صلاح بن احمد بن صلاح » الذي لم اجد له ترجمة فيما وقفت عليه من كتب . وقد جاء في آخرها قول المؤلف « هذا ما تيسر جمعه من اخبار الصالحين الزّهاد والعارفين العباد والاولياء المقربين الافراد على ما شرطته حسب ما وصل اليّ وسهله الله تعالى عليّ وان فَسَحَ الله تعالى في الاجل وبلغ الامل ساتبعه بما يشابهه ليعم نفعه ويتضاعف اجره ـ ان شاء الله تعالى ـ ! »

ولما درسنا الكتاب بروية وامعان ونقرنا عنه تبين لنا انه كتاب « اخبار الزهاد » لمؤرخ العراق المشهور تاج الدين ابي طالب علي بن انجب المعروف بابن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤هـ .

تاج الدين ابن الساعي (١) :

ولد تاج الدين ابو طالب علي بن انجب المعروف بابن الساعي البغدادي في شعبان من

(١) تنظر ترجمة ابن الساعي في الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة والمنسوب خطا لابن الفوطي (ص ٣٨٦) واليونيني : ذيل مرآة الزمان (١٤٧/٣) وابن رافع السلامي : منتخب المختار (ص ١٣٧ ـ ١٣٨) والذهبي : تاريخ الاسلام (وفيات سنة ٦٧٤) وتذكرة الحفاظ (١٤٦٩/٤) والصفدي : الوافي (م ١٢ ورقة ٨٨ مصورة المكتبة المركزية) وابن كثير : البداية (٢٧٠/١٣) والقرشي : الجواهر (٣٥٤/١) وابن قاضي شهبة : منتقى المعجم المختص (ورقة ١٤١ باريس ٢٠٧٦) وطبقات الشافعية له ايضا (ورقة ٦٨ باريس ٢١٠٢) وابن تغري بردي : المنهل الصافي (ورقة ١١٨ باريس ٢٠٧١) وناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية (٧٤/٢ـ٧٩ ط ٢) ومقدمة الجامع المختصر ونساء الخلفاء للمرحوم مصطفى جواد وغيرها .

سنة ٥٩٣ هـ ببغداد ، وسمع الحديث بها على جماعة كبيرة من العلماء المشهورين والمغمورين دَلّت عليهم مشيخته الضخمة التي بلغت عشر مجلدات . فمن المشهورين الذين سمع عليهم : ابو عبدالله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي الواسطي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ، وابو الحسن علي بن محمد بن علي الموصلي بابن اللبّاد الخياط المتوفى ببغداد سنة ٦١٤ هـ وغيرهما . وأجاز له جماعة كبيرة من متعيني الرواة منهم : ابو اليمن زيد بن الحسن الكندي البغدادي العالم المشهور المتوفي سنة ٦١٣ هـ . وقرأ القرآن الكريم بالقراءآت على ابي البقاء عبدالله بن الحسين العكبرَي المتوفى سنة ٦١٦ هـ .

وعني ابن الساعي بدراسة التواريخ ولاسيما تواريخ بغداد فقرأ « التاريخ المجدد لمدينة السلام واخبار فضلائها الاعلام ومن وردها من علماء الانام » على مؤلفه محب الدين ابي عبدالله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ، وقرأ « التاريخ المذيل به على ذيل ابن السمعاني » على مؤلفه جمال الدين ابي عبدالله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي الواسطي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ واكثر من النقل منه في كتبه (٢) ، فضلا عن تواريخ كثيرة . وصحب ابن الساعي المشايخ والزهاد ومن اشهرهم عبدالوهاب ابن سكينة المعروف بامين الامناء المتوفى سنة ٦٠٧ هـ . ولبس خرقة التصوف سنة ٦٠٨ هـ من شيخ الشيوخ شهاب الدين ابي حفص عمر بن محمد السهروردي الشافعي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ . وبذلك كملت فنونه وصارت تأتي أكلها، فبرع تاج الدين في أكثر العلوم الدينية كالحديث والفقه والتفسير ، والفنون الادبية كالتاريخ والادب والشعر ..

وكان تاج الدين ابن الساعي دمث الاخلاق محبوباً مجاملاً جميل السيرة محترماً بين الخاص والعام مكرّماً عند ارباب الدولة العباسية . وقد مهد له الاختلاط باعيان الدولة وارباها سبيل الاطلاع على مكنونات الدواوين الرسمية المخزونة التي يصعب على غيره من المؤرخين الوصول اليها « وبذلك الجاه ايضاً وكونه معظماً عند الاكابر والاعيان كثير التردد اليهم نقل اخباراً من ارباب الدولة واعوانها وعنهم لايعرفها احد من المؤرخين ، ولم يذكرها غيره ، فصارت مادة تاريخية غزيرة ، ولولا هي لنقص التاريخ نقصاناً مؤسفاً » .(٣)

ولعل مما ساعده واعانه على الاطلاع انه تولى خزن الكتب في المدرسة النظامية(٤) وخزنها ايضاً في المدرسة المستنصرية (٥) وهما من اعظم خزائن الكتب في عصره ، فاطلع على امهات الكتب المخزونة واتصل بالمترددين على هذين المركزين العلميين العظيمين .

وتوفى ابن الساعي في ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٧٤ هـ ببغداد ، ودفن بمقبرة الشونيزي بالجانب الغربي من بغداد .

وقد الف ابن الساعي كتباً كثيرة في فنون شتى بلغت قرابة ١٣٣ مجلداً وقد احصاها جملة من المؤرخين منهم : شمس الدين الذهبي(٦) وصلاح الدين الصفدي (٧) والتقي ابن رافع السلامي(٨) وابن قاضي شهبة (٩) وغيرهم . وقال الذهبي : « وكان يحصل له من الدولة ذهب جيد على عمل هذه التواليف » (١٠) .

---

(٢) راجع مثلا الجامع المختصر ج٩ ص ٧ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٧ — ٥٨ ، ٦١ ، ٧٠، ٧١ ، ٨٥ — ٨٧ ، ١٠٧ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٥٥ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ٢١٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٧٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ وغيرها .

(٣) مقدمة نساء الخلفاء ص ١٨

(٤) ابن رافع السلامي : منتخب ص ١٢٨

(٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٤٦٩/٤ وابن تغري بردي : المنهل الصافي (١٠ الورقة ١١٨) وراجع ايضا الدكتور ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية

(٦) تاريخ الاسلام (وفيات سنة ٦٧٤) وتذكرة الحفاظ ١٤٦٩/٤

(٧) الوافي م ١٢ ورقة ٨٨

(٨) منتخب المختار ص ١٣٧ — ١٣٨

(٩) طبقات الشافعية (ورقة ٦٨ نسخة باريس ٢١٠٢) « ومنتقى المعجم المختص » الذي للذهبي (ورقة ١٤١ من النسخة الباريسية المذكورة) .

(١٠) تذكرة الحفاظ ١٤٦٩/٤ . قلت : وقد احصى شيخنا العلامة مصطفى جـواد — رحمه الله — تواليف ابن الساعي في مقدمة كتاب « نساء الخلفاء » وذكر منها ٥٦ مؤلفا وفي قائمته نظر لاختلاط كتب باخرى . ولنا بحث عن « مؤلفات ابن الساعي » لعله يظهر قريبا — ان شاء الله تعالى — .

اخبار الزهاد :

ذكر صاحب الكتاب المسمى « بالحوادث الجامعة » (١١) والمنسوب وهماً لكمال الدين عبد الرزاق ابن الفوطي ، وابن كثير في « البداية والنهاية » (١٢) ان آخر كتاب الفه تاج الدين ابن الساعي هو كتاب « الزهاد » وقد وجد على هذا الكتاب بخط الشيخ زكي الدين عبدالله (١٣) بن حبيب الكاتب هذه الابيات :

مازال تاج الدين طول المدى
من عمره يعنق في السير
في طلب العلم وتدوينه
وفعله نفع بلا ضير
علا علي' بتصانيفه
وهذه خاتمة الخير

وقد ذكرنا قبل قليل قول مؤلف الكتاب في نهايته : « هذا ماتيسر جمعه من اخبار الصالحين الزهاد والعارفين العباد والاولياء المقربين الافراد على ماشرطته حسب ماوصل الي وسهله الله تعالى علي » (١٤) .

وطبيعي أن يكون الكتاب المؤلف في « الزهاد » حاوياً لتراجم جملة منهم وذكر بعض اخبارهم وسيرهم، وهذا بعينه هو الذي وجدناه في هذا المخطوط الذي نتكلم عليه .

نسبة الكتاب الى ابن الساعي :

لقد ثبت لدينا ان هذا الكتاب من مؤلفات تاج الدين ابن الساعي المؤرخ البغدادي لجملة اسباب توكدت قيمتها عندنا وها هي ذي :

اولا : المؤلف بغدادي :

ذكر مؤلف المخطوط جملة من المشايخ البغداديين ممن اتصل بهم وعرفهم عن قرب مما يدل على انه من سكان هذه المدينة :

١ ـ قال في ترجمة ابي عبدالله محمد بن محمد الزاهد البلخي : « قدم بغداد واستوطنها الى حين وفاته . وكان مقيماً بسوق السلطان في مسجد له قريباً من دجلة .. وكان يقبل علي ويدعو لي » (١٥)

٢ ـ وقال في ترجمة الشيخ ابي عبدالله محمد بن محمد البصري الزاهد المتوفى في يوم الثلاثاء الثامن من شهر رجب سنة ٦٢٥ هـ « كان منقطعاً بمحلة التوثة(١٦) بالجانب الغربي من بغداد في زاوية له هناك يقصده الناس للتبرك به والسلام عليه .. حضرت عنده مراراً وسمعت منه حكاية . » (١٧)

٣ ـ وذكر ان ابا عبدالله محمد بن محمد بن جميل « من اهل باب الازج ... وكنت اقصد للزيارة له والتبرك به ... وكانت وفاته في ليلة الخميس خامس عشر ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وست مئة ، وصلي عليه بعد المغرب في جامع القصر » (١٨)

٤ ـ وقال في ترجمة الزاهد المشهور ابي عبدالله محمد بن سكران بن ابي السعادات بن معمر الذي لازال ضريحه قائماً عند مفرق الراشدية في بداية الطريق الترابي بين طريق الخالص الجديد وناحية خان بني سعد والمار بالمشيرية: « ولد باحدى قرى بغداد وسكن ناحية المباركة من اعمال الخالص واستوطنها وعمر فيها رباطاً وانشأ الى جانبه بستاناً وسكن عنده جماعة من الفقراء المريدين له المعتقدين فيه واستعملهم في الزراعة .. وعني بمولد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان ينفق في كل سنة مايزيد على خمس مئة دينار في مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويصنع به الاطعمة الكثيرة التي تعم من يقصده في مثل هذا الموسم من الفقراء كافة .. وسائر بغداد .. قال لي مرة ، وقد حضر عندي ومعه جماعة من الفقراء فلم ار احداً منهم جلس معه تعظيماً له فقلت له : سيدي

---

(١١) الحوادث ص ٢٨٦
(١٢) البداية ٢٧٠/١٣
(١٣) توفي سنة ٦٨٣ وقد ذكره صاحب الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة في سنة وفاته .
(١٤) الورقة ١٢٢ من المخطوط .

(١٥) الورقة ٦
(١٦) في الاصل : « التوب » وهو تصحيف . ومحلة التوثة كانت من محال غربي بغداد تقع وراء مقبرة الشونيزية ، وهي مقبرة الشيخ « الجنيد بن محمد » الحالية .
(١٧) الورقة ٦ـ٧
(١٨) الورقة ٧ـ٨

أتأذن لهم في الجلوس .. » ثم ذكر وفاته في يوم الثلاثاء خامس شعبان سنة ٦٦٧ هـ وقال : « ودفن في قريته وبني عليه قبة واقام أصحابه بعده يسلكون طريقه وهم الان في بركة مجتهدين في الجري على منهاجه(١٩) » .
قال بشار عواد : وهذا يثبت ايضا ان ابن الساعي الف هذا الكتاب في آخر ايامه وانه كان آخر تآليفه على مايبدو .

٥ ــ وقال في ترجمة ابي عمرو عثمان بن سليمان بن احمد المطرز الفقير المتوفى في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من جمادى الاولى سنة ٦٣٦ هـ : « صحب في صباه عبد الغني(٢٠) ابن نقطة .. وسكن رباط كمال الدين ابن رئيس الرؤساء بالقصر من دار الخلافة .. وكنت سألته عن مولده فلم يحققه واظنه بلغ سبعين سنة(٢١) » .

٦ ــ وذكر في ترجمة ابي بكر عبد الكريم بن ابي عبدالله بن الحسين الفارسي الزاهد فقال : « من اهل الفارسية ، قرية على نهر عيسى . وهو ابن اخي الحسن بن مسلم الذي قدمت ذكره(٢٢) .. قصدته مرات لزيارته والتبرك به .. وكنت قد سألته عن مولده فقال : في سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة . وبلغني خبر وفاته في يوم الخميس التاسع من صفر سنة خمس وثلاثين وست مئة فتوجهت الى قريته لاصلي عليه فوجدته قد دفن الى جنب عمه فصليت على قبره(٢٣) » .

٧ ــ وقال في ترجمة ابي القاسم عمر بن مسعود بن ابي العز الفراش المعروف بعمر البزاز المتوفى في الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٦٠٨ هـ (٢٤) : « وكان له دكان بخان الصفة بسوق الثلاثاء يبيع البز ويطلب الكسب وسمعت كلامه ... ودفن في زاويته بالجانب الغربي » (٢٥) .

٨ ــ وقال في ترجمة الشيخ اسحاق بن احمد العلثي : « وكنت اتردد اليه للسلام عليه والتبرك به واطلب منه الدعاء فيدعو لي . وكان قد جاء الى بغداد في الايام المستنصرية ونزل على دجلة في الجانب الغربي فقصده الامام المستنصر بالله للسلام عليه والتبرك به وطلب الدعاء منه » (٢٦) .

---

(١٩) الورقة ٨ــ٩ وراجع الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة في وفيات سنة ٦٦٧ هـ .

(٢٠) هو عبدالغني بن ابي بكر بن شجاع الحنبلي المعروف بابن نقطة الزاهد المشهور المتوفى في الرابع من جمادى الاخرة سنة ٥٨٣ هـ ووالد الامام المحدث المشهور ابي بكر محمد بن عبدالغني صاحب « التقييد » و « اكمال الاكمال » وغيرهما ، واخو ابي منصور المزكلش صاحب النظم المعروف بـ « كان وكان » وقد ترجمه المؤلف في كتابه هذا (ورقة ٩٤ــ٩٥) وابن الدبيثي في تاريخه (ورقة ١٨٠ باريس ٥٩٢٢) والزكي المنذري في التكملة (١/٩٧ــ٩٨ ط النجف ١٩٦٩) والعيني في عقد الجمان (ج١٦ ورقة ٥٢ــ٥٣ مصورة دار الكتب المصرية) وغيرهم .

(٢١) الورقة ٩٤ . وقد ذكره المنذري في التكملة (م ٨ ص ١٦١١ من الطبعة الماجستيرية) وفصل محب الدين ابن النجار البغدادي في ترجمته (التاريخ المجدد / الورقة ١٢٤ ــ ١٢٥ ظاهرية) .

(٢٢) في الورقة ٤٩ من كتابه . وكانت وفاته في الحادي عشر من محرم سنة ٥٩٠هـ وقد ترجمه ياقوت في معجم البلدان (٢/٣٥٩ ، ٢/٨٣٨ ــ ٨٣٩) وابن الاثير في الكامل (١٢/٥٨) وابن الدبيثي في تاريخه (ورقة ١٨ باريس ٥٩٢٢) وسبط ابن الجوزي في المرآة (٨/٤٥٣ ــ ٤٥٤) والزكي المنذري في التكملة (٢/١٧ــ١١٩) وابو شامة في ذيل الروضتين (ص ١٣) والذهبي في المختصر المحتاج اليه (٢/٢٦) وتاريخ الاسلام (ورقة ٧٥ باريس ١٥٨٢) ودول (٢/٧٧) وسير اعلام النبلاء (١٢/ ورقة ٦٩) والعبر (٤/٢٨٣) والمشتبه (١٩١) والصفدي في الوافي (م ١١ ورقة ٣٧ــ٣٨) وصاحب المسجد المسبوك (ورقة ١٠٢) والعيني في عقد الجمان (ج ١٧ ورقة ٢٢٢ــ٢٢٣) وغيرهم .

(٢٣) الورقة ٩٥ وذكره الزكي المنذري في التكملة (م٨ ص ١٥٦٧ الترجمة ٢٧٨١ من الطبعة الماجستيرية) وذكره ابن رجب في الذيل (٢/٢١٦) ونقل عن ابن النجار البغدادي . وذكره ايضا ابن العماد في الشذرات (٥/١٧١) .

(٢٤) الورقة ١٠٣ وترجمه ايضا ابن الاثير في الكامل (١٢/١٢٤) وابن الدبيثي في تاريخه (الورقة ٢٠٤ باريس ٥٩٢٢) وابن النجار في تاريخه (الورقة ١٢٣ من الجزء الباريسي) وصائن الدين النمال البغدادي في مشيخته (رقم ٥١ بتحقيقنا ورقة ٣٠ من الاصل) والذهبي في تاريخ الاسلام (ورقة ١٦٩ باريس ١٥٨٢) وابن الفرات في تاريخه (م٥ الورقة ٤٦ من نسخة فينا) والتاذفي في قلائد الجواهر (ص ١٢٠ ــ ١٢١)

(٢٥) قال المحب ابن النجار في تاريخه : « وكان له دكان بخان الصفة بسوق الثلاثاء يبيع فيه البز ويطلب الكسب الحلال ثم انه ترك ذلك وانقطع الى زاوية له الى جانب مسجد بالجانب الغربي قريبا من جامع العقبة » (ورقة ١٢٢ من الجزء الباريسي) .

(٢٦) الورقة ٣٩ــ٤١

٩ ـ وقال في ترجمة الشيخ الصالح الزاهد ابي محمد علي بن محمد بن عبدالله بن ادريس الادريسي الروحائي (٢٧) البعقوبي صاحب الشيخ الشهير والزاهد الخطير ابي محمد عبدالقادر بن ابي صالح الجيلي : « ولما قدم بغداد في سنة ٦١٧ قصدته الى مدرسة الشيخ عبدالقادر الجيلي وسلمت عليه .. توفي يوم الخميس مستهل ذي الحجة سنة تسع عشرة وست مئة » (٢٨) .

ثانيا : صلة المؤلف بالشيخ ابن سكينة ومعرفة تاريخ مولده :

قد عرفنا من سيرة تاج الدين ابن الساعي انه اخذ عن ابي احمد عبدالوهاب بن سكينة المتوفى سنة ٦٠٧ (٢٩) . وكان ابن سكينة من كبار زهاد بغداد و « من الصالحين والعباد العاملين لازماً لطريقة السلف » (٣٠) قال محب الدين ابن النجار البغدادي : « ولقد طفت شرقاً وغرباً ورايت الائمة والعلماء والزهاد فما رايت اكمل منه ولا اكثر عبادة ولا احسن سمتاً . صحبته قريباً من عشرين سنة ليلاً ونهاراً وتادبت بسمته وخدمته . وقرات عليه القرآن بجميع مروياته وقراءآته . وكان ثقة صدوقاً حجة نبيلاً ، ركناً من اركان الدين وعلما من اعلام المسلمين » .(٣١)

(٢٧) منسوب الى « الروحاء » قرية قريبة من بعقوبا .
(٢٨) الورقة ١٠٤ وذكره ابن الدبيثي في تاريخه (الورقة١٧٦ من نسخة كيمبرج) والزكي المنذري في التكملة (م٦ ص ١١٦١ـ١١٦٢ من الطبعة الماجستيرية) وذكره الذهبي في تاريخ الاسلام (ورقة ٢٥٤ باريس ١٥٨٢) وسير اعلام النبلاء (ج١٣ ورقة ١٦١) وابن الملقن في طبقات الاولياء (ورقة ٤٢) وغيرهم .
(٢٩) راجع اعلاه والصفدي : الوافي (م ١٢ ورقة ١٢)
(٣٠) المنذري : التكملة (م٣ ص ٢٢٦) .
(٣١) التاريخ المجدد (ورقة ٦٤ـ٦٦ نسخة القاهرية) وقد ترجم له جملة كبيرة من المؤرخين منهم : ابن نقطة في التقييد (ورقة ١٥٩ـ١٦٠ نسخة الازهر) وابن الدبيثي في تاريخه (ورقة ١٥٦ـ١٥٧ باريس ٥٩٢٢) والمنذري في التكملة (م ٣ ص ٢٢٤ـ٢٢٦) والذهبي في سير اعلام النبلاء (ج ١٣ ورقة ١١٥ـ١١٦) ومعرفة القراء (ورقة ١٨١ـ١٨٢) وتاريخ الاسلام (ورقة ١٦٠ـ١٦١ باريس ١٥٨٢) وابن الملقن في العقد المذهب (ورقة ١٦٥) وابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية (ورقة ٥٧ باريس) والعيني في عقد الجمان (ج١٧ ورقة ٢٢٩ـ٢٣١) وغيرهم كثير

وقد ذكره مؤلف الكتاب (ابن الساعي) فقال : « شيخنا ابو احمد عبدالوهاب بن علي بن عبد الله المعروف بامين الامناء ابن سكينة الملقب ضياء الدين ... واذكر وأنا صبي زاهق الحلم وانا التذ بالنظر اليه ولا أسأم القعود بين يديه . ولما راى في ذلك احبني وكان يسألني عن حالي ويسأل عني اذا غبت ويخصني بشيء من الحلاوة في كل وقت احضر عنده . وكان له ولد اسمه عبد الرحيم ولقبه عون الدين يأمره بالقعود معي ويقول : اقرا معه بالارادة فاذا راى عنده تقصيراً او ميلاً الى لعب ينكر عليه ويقول له : لم لا تكون مثل هذا فان له همة ارجو له الصلاح . وكان يعتذر اليه ويقول : هذا اكبر مني . ولقد صدق ـ رحمه الله ـ فاني كنت اسن منه بسنتين »(٣٢) .

وبذلك حدد لنا مؤلف الكتاب تاريخ مولده ايضاً فاذا بحثنا في كتب التراجم عن عون الدين عبد الرحيم بن عبد الوهاب نجد ان زكي الدين عبدالعظيم المنذري يترجم له في التكملة في وفيات سنة ٦٣٩ فيقول « وفي السابع عشر من شعبان توفي الشيخ الاجل الاصيل ابو محمد عبدالرحيم ابن الشيخ الاجل ابي احمد عبدالوهاب ... المعروف بابن سكينة ومولده سنة سبع وتسعين وخمس مئة » (٣٣) . ثم نجد له ترجمة اخرى في تلخيص مجمع الاداب لكمال الدين عبدالرزاق ابن الفوطي ينقلها من تاريخ تاج‌الدين ابي طالب ابن الساعي فيقول في الملقبين بعون الدين : « ذكره شيخنا تاج الدين ابو طالب في تاريخه وقال : رتب شيخاً برباط العميد فجمله وزينه وشحنه بالصوفية ، قال : وفي جمادي الاولى سنة ست وعشرين وست مئة رتب عون الدين وكيلاً لشرف الدين اقبال الشرابي وحظي بالقرب منه.. وتوفي في منتصف شعبان سنة تسع وثلاثين وست مئة. ومولده في جمادي الاخرة سنة ست وتسعين وخمس مئة (٣٤) » .

(٣٢) الورقة ٩٢ـ٩٤
(٣٣) التكملة (م٨ ص ١٦٩) الترجمة ٣٠٣٩ من الطبعة الماجستيرية) .
(٣٤) تلخيص ج٤ الترجمة ١٤٥٠ وذكره صاحب العسجد المسبوك في وفيات سنة ٦٣٩

من هنا نلاحظ ان المنذري ذكر ولادة عون الدين سنة ٥٩٧ هـ وان ابن الساعي حددها في جمادي الاخرة من سنة ٥٩٦ هـ . ومن الطبيعي ان نأخذ برواية ابن الساعي لانه هو المعني بها . والذي حفظناه عن ولادة ابن الساعي انها كانت في شعبان من سنة ٥٩٣ فيكون قوله : « كنت اسن منه بسنتين » يتفق الى حد كبير مع ولادة تاج الدين ابن الساعي وان كان هناك فرق في اقل من سنة .

وقد ذكر مؤلف هذا الكتاب ابا احمد بن سكينة في مواضع عدة من كتابه ووصفه بـ « شيخنا » فقال في ترجمة ابي عبدالله محمد بن محمد الزاهد البلخي : « رايته مراراً عندشيخنا ابي احمد عبدالوهاب ابن سكينة وقبلت يده »(٣٥) وقال في ترجمة ابي عبدالله محمد بن محمد البصري الزاهد المتوفى في الثامن من شهر رجب سنة ٦٢٥ هـ : « وكان شيخنا ضياء الدين ابو احمد بن سكينة اذا مضى الى زيارة مقبرة الشونيزي يدخل اليه ويتحدث معه » (٣٦) وذكر في ترجمة ابي الحسن علي بن محمد بن غليس الزاهد اليمني المشهور المتوفى سنة ٥٩٨ هـ انه « قدم بغداد سنة ست وتسعين (وخمس مئة) ونزل على شيخنا ابي احمد عبدالوهاب بن سكينة وكانت بينهما صحبة بمكة . وكان شيخنا عبدالوهاب المذكور كثير التعظيم له والاكرام .. ورأيت بخط ابن غليس اليمني الى ضياء الدين ابي أحمد بن سكينة : « خادمه علي بن غليس الذي لايسوى فليس » .(٣٧)

ثالثا : صلة مؤلف الكتاب بالشيخ شهاب الدين السهروردي ولبسه خرقة التصوف منه :

لقد حفظنا من سيرة تاج الدين ابن الساعي انه صحب الصوفية والزهاد وانه لبس خرقة التصوف من الزاهد الشهير شهاب الدين عمر ابن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله القرشي التيمي البكري السهروردي المولد البغدادي الدار والوفاة المتوفى سنة ٦٣٢ (٣٨) . وكان لبسه لخرقة التصوف سنة ٦٠٨ هـ كما ذكر صاحب منتخب المختار وغيره (٣٩) . وقد طول مؤلف المخطوط الذي نتكلم عليه في سيرة شهاب الدين السهروردي وذكر انهلبس خرقة التصوف منه(٤٠) فهذا يدل دلالة اكيدة على ان مؤلف الكتاب هو تاج الدين ابن الساعي .

رابعا : بعض شيوخه :

وعلمنا من سيرة تاج الدين ابن الساعي انه تتلمذ للشيخ تاج الدينابي زكريا يحيى بن القاسم بن المفرج التكريتي الشافعي (٤١) المتوفى ببغداد في الثامن من شهر رمضان سنة ٦١٦ (٤٢) . وقال مؤلف هذا الكتاب في ترجمة شيخه ابي احمد عبد الوهاب بن علي بن سكينة : « وقد ذكره شيخنا ابو زكريا يحيى التكريتي مدرس النظامية في جملة مشايخه فقال .. »(٤٣)

خامسا : صلته برجال الدولة :

عرف عن ابن الساعي صلته الوثيقة بارباب الدولة العباسية ، فقد ذكر شمس الدين الذهبي (٤٤) وصلاح الدين الصفدي (٤٥) ان شرف الدين اقبالاً الشرابي مقدم الجيوش العباسية كان يحترم ابن الساعي ويبعث اليه

---

(٣٥) الورقة ٦

(٣٦) الورقة ٦-٧

(٣٧) الورقة ٨٧-٨٨ قلت : تجد ترجمة ابن غليس هذا عند ابن النجار في تاريخه (ورقة ١٢-١٣) من النسخة البارسية) والزكي المنذري في التكملة (٢/٣٦٢-٣٦٣) وابي شامة في ذيل الروضتين (ص ٣٠-٣١) والعيني في عقد الجمان (ج ١٧ ورقة ٢٧٥-٢٧٦ مصورة القاهرة) وقيد المنذري « غليس » بالحروف فقال : « بضم الغين المعجمة وبعد اللام المفتوحة ياء اخر الحروف ساكنة وسين مهملة » .

(٣٨) سيرة السهروردي اشهر من ان تذكر وقد ذكرنا له في تعليقنا على كتاب « التكملة لوفيات النقلة » جملة كبيرة في مصادر ترجمته فراجعها هناك ان اردت ففيها كفاية (م٧ ص ١٤٧٧ - ١٤٧٨ من الطبعة الماجستيرية) .

(٣٩) ص ١٢٨ -١٢٩ وراجع مصادر ترجمة ابن الساعي

(٤٠) الورقة ٩٥-١٠٢ .

(٤١) قال ابن الساعي في الجامع المختصر : « انشدني ابو محمد عبدالسلام ابن شيخنا تاج الدين ابي زكريا يحيى بن القاسم التكريتي » ص ٩٠

(٤٢) المنذري : التكملة (٤/٤١٠-٤١١) وتجد هناك مصادر ترجمته وهي كثيرة لم نر فائدة في اعادتها .

(٤٣) الورقة ٩٤ .

(٤٤) ابن قاضي شهبة : منتقى المعجم المختص (الورقة ١٤١ باريس ٢٠٧٦)

(٤٥) الوافي م١٢ الورقة ٨٨

بالدنانير . وكان بالجاه الذي وصل اليه يطلع على المناشير الرسمية والتوقيعات والمكاتبات المخزونة في الدواوين (٤٦) .

ومن جهة اخرى نجد مؤلف هذا الكتاب على مثل هذا الاتصال برجال الدولة العباسية وكبارها من ذلك اتصاله بالاستاذ سعد الدين محمد بن جلدك (٤٧) خازن دار التشريفات المتوفى سنة ٦٢٦ (٤٨) حيث حصل منه على نسخة كتاب محاولة تنازل الخليفة الناصر لدين الله عن الخلافة والانقطاع عن الدنيا والزهد فيها (٤٩) كما كان على اتصال بشيخ الشيوخ العدل صدر الدين ابي المظفر علي بن محمد بن النيار (٥٠) المقتول بواقعة بغداد سنة ٦٥٦ . وكان ابن النيار ثالث ناظر للمدرسة المستنصرية (٥١) .

سادسا : ذكر مؤلف الكتاب لاحد كتبه الاخرى :

ولعل من اكثر الدلائل التي تؤيد ماذهبنا اليه من ان هذا الكتاب هو « اخبار الزهاد » او « كتاب الزهاد » لتاج الدين ابن الساعي هو ذكره لاحد كتبه الاخرى في هذا الكتاب ، فقد ترجم المؤلف للعالم المشهور والفقيه المذكور ابي اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي مدرس النظامية المتوفى سنة ٤٧٦ هـ ترجمة رائقة ولم يكتف بذلك بل قال: « وقد ذكرت اخباره في الورع وغير ذلك مماتقل من انباء الائمة في كتابي الموسوم بـ « المناقب العلية لمدرسي النظامية »(٥٢)

(٤٦) راجع الجامع المختصر (٩/٢٢٣) قال في حوادث سنة ٦٠٤ « وفي يوم الثلاثاء رابع عشريه خلع على ضياء الدين احمد بن مسعود التركستاني الحنفي وولي تدريس مشهد ابي حنيفة ـ رض ـ والنظر في وقوفه وكتب توقيع من المخزن المعمور بانشاء مجد الدين محمد بن جميل كاتب المخزن المعمور يومئذ ومن خطه نقلت وهذه نسخته » .

(٤٧) الورقة ٩٧

(٤٨) الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة (ص١٢)

(٤٩) سوف نتكلم عليه بعد قليل

(٥٠) الورقة ١٠٢

(٥١) راجع تاريخ علماء المستنصرية للدكتور ناجي معروف (٧٩/١-٨٤ ط ٢)

(٥٢) الورقة ١٩-٢٠

وقد جاء ذكر هذا الكتاب في الكتب التي الفها ابن الساعي (٥٢) .

ان هذه الادلة الكثيرة تشير بما لا يقبل الشك الى ان هذا الكتاب لايمكن ان يكون لغير تاج الدين ابي طالب علي بن انجب المعروف بابن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤ هـ وهو كتاب «الزهاد» او «اخبار الزهاد» ليس غيره .

اهمية الكتاب :

تمتاز كتب تاج الدين ابن الساعي عموماً باهميتها لسعتها من جهة ولان ابن الساعي من كبار المؤرخين العراقيين المبرزين في القرن السابع الهجري عرف بعلمه الغزير واتصاله بالاحداث التاريخية عن قرب .

وفي هذا الكتاب عدد لايستهان به من تراجم الزهاد والصوفية وتهمنا منه بالدرجة الاولى اخبار المعاصرين منهم الذين شاهدهم المؤلف بنفسه واخذ عنهم واتصل بهم .

ومن ثم فانه حوى طائفة مجهولة من تراجم الزهاد البغداديين الذين قد لانجد اليوم لهم تراجم في غير هذا الكتاب مما يزيده قيمة على قيمته المذكورة .

ولعل اخطر ما في الكتاب واكثره اهمية هو ورود وثيقة عن محاولة تنازل الخليفة الامام الناصر لدين الله العباسي « ٥٧٥-٦٢٢ هـ » عن الخلافة والزهد في الدنيا اوردها في ترجمة شيخه شهاب الدين عمر السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ، قال المؤلف في الكلام على رباط المرزبانية « ثم ان الامام الناصر بعد ذلك لما خطر له الزهد في الدنيا وترك الخلافة وتقليدها ولده ابا نصر محمداً (الظاهر) امر ان تبنى له دار بناحية المرزبانية على شاطيء نهر عيسى وبني للشيخ الى جنبها رباط فيه دار وحمام وبستان بحيث يسكن عنده في الرباط عشرين من مشايخ الصوفية ليتخلى هو في داره للعبادة ويساكن الشيخ

(٥٢) انظر مثلا منتخب المختار لابن رافع ص ١٢٨ وقائمة مؤلفات ابن الساعي للدكتور مصطفى جواد في مقدمة نساء الخلفاء .

والصوفية الذين يختارهم » (٥٤) ثم بدا له غير ذلك لظهور بعض الظروف السياسية فترك هذا الامر .

وقد فتشنا عن هذه الوثيقة في جميع الكتب التاريخية المخطوطة والمطبوعة التي استطعنا الوقوف عليها مما تناول عهد الخليفة الناصر لدين الله من قريب او بعيد فلم نجدها في غير هذا الكتاب . وليست هذه اول وثيقة ينفرد بها تاج الدين ابن الساعي فهو مولع بذكر الكتب الرسمية التي استطاع الحصول عليها نتيجة لاتصاله برجال الدولة العباسية واربابها . وقد اشار الى هذه الوثيقة تلميذه عبدالرحمن الاربلي المتوفى سنة ٧١٧ هـ في « خلاصة الذهب المسبوك » فقال في ترجمة الامام الناصر لدين الله : « وبنى رباط المرزبانية ، وهذا الرباط بناه وعزم ان ينقطع فيه ويترك الخلافة زهداً في الدنيا وانشأ في ذلك كتاباً ليقرأ على الناس وقد وقف المشايخ بالعراق على نسخته ثم بدا له غير ذلك » (٥٥) .

وقد كتبنا بحثاً مسهباً عن هذه الحادثة ونشرنا فيه هذه الوثيقة بعنوان : « اضواء جديدة على خلافة الناصر لدين الله » يظهر قريباً ـ ان شاء الله تعالى ـ .

---

(٥٤) الورقة ٩٦

(٥٥) ص ٢٨٢

